جمهورية مصر العربية	غرة شوال١٤٣٩هـ□
وزارة الأوقاف	١٥ من يونيه ٢٠١٨م□

(١)

صلة الرحم

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد** :

فإن من مبادئ الإسلام الاجتماعية توطيد العلاقات بين الناس ، لأن الإنسان اجتماعي بفطرته ، ومدني بطبيعته ، يألف ويؤلف ، يؤثر ويتأثر ، وأولى الناس بتوطيد هذه العلاقة هم الأقربون ، فهم أسرع الناس وأقربهم نفعًا ؛ لذا جاءت الشريعة الإسلامية بالدعوة إلى صلة الأرحام ، والنهى عن قطيعتها نهيا شديدًا .

فصلة الرحم من أكبر العوامل التي تحقق التآلف والترابط ونشر قيم التراحم بين الناس كافة ، وهي من دعائم الإيمان التي دعا إليها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في بداية بعثته ، فعن عمرو بن عبسة قال : دخلت على النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يعني في أول النبوة ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: (أَنَا نَبِيٌّ) ، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: (أَرْسَلَنِي اللهُ)، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: (أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ).

ولو تأملنا في هذا الحديث لوجدنا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قدم صلة الأرحام للتنويه بشأنها ، وبيان أهميتها وفضلها ؛ لأن قطيعة الرحم من كبائر الذنوب التي قد تصل بالعبد إلى الطرد من رحمة الله تعالى ، حيث يقول سبحانه:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }.

وعندما سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) أي الأعمال أحب إلى الله؟، قال: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ)، فقيل ثم أي ؟، قال: (ثُمَّ صِلَةُ الرَّحِمِ)، فقيل: يا رسول الله، أي الأعمال أبغض إلى الله؟، قال: (الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ) ، فقيل: ثم أي ؟ قال: (ثُمَّ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ) ، فقيل: ثم أي ؟ ، قال: (ثُمَّ الْأَمْرُ بِالْمُنْكَرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمَعْرُوفِ).

وقد جعلها النبي (صلى الله عليه وسلم) علامة من علامات الإيمان ، فقال : (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) ، وأكد على ذلك قوله تعالى:{وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ}.

والرحم التي أمرنا الإسلام بصلتها تشمل كل من كان بينك وبينهم صلة نسب أو مصاهرة ، فلهم حقُ البرّ والصِّلَةِ ، وعدَّهَا من أصول الفضائل ، ووعد عليها بأعظم المثوبة ، وتوعد قاطعها بأشد أنواع العقوبة .

ولما كانت صلة الرحم قيمة دينية عظمى ، وبابًا من أبواب الخير ، قرن الله (عز وجل) الإحسان إليها بالأمر بعبادته وتوحيده ، فقال تعالى:{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ ...}، وجعلها الحق سبحانه وتعالى من الصفات الكريمة التي مدح بها أصحاب العقول السليمة ، وطريقًا توصل صاحبها إلى الجنة ، فقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}.

وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْنِينِي مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ ، قَالَ: (تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ) فَلَمَّا أَدْبَرَ ، قَالَ رَسُولُ اللهَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ) ، ومن ثم يتضح أن للرحم شأنًا عظيمًا ، وأهمية كبيرة ، ومنزلة عند الله عظيمة.

ويكفي الرحم شرفًا ومكانة أن الله (عز وجل) قدْ شقَّ لها اسمًا مِن أسمائِهِ ، ووعدَهَا بأن يصِلَ مَنْ وصلَهَا ، ويقطَعَ من قطعها ، قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتْ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنْ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَذَاكِ لَكِ) ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}.

وصلة الرحم لا تعني بمجرد الكلام أو الشعارات ، إنما تعني: إيصال الخير لهم ، ودفع الشر عنهم ، بحسب الطاقة البشرية ، وتفقد غائبهم ، وعيادة مريضهم، ورحمة صغيرهم ، وتوقير كبيرهم ، والإهداء إليهم ، والتصدُّق على فقيرهم ، وإجابة دعوتهم، ومشاركتهم في أفراحهم ، ومواساتهم في أحزانهم ، والعفو عن مسيئهم والتجاوز عنه ، وتفريج كرب المكروبين منهم ، وغير ذلك من الأمور التي تقَوِّي أواصر المودة بين أفراد المجتمع ، وهذا هو التراحم الحقيقي ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ كَانَ في حَاجَة أخِيه ، كَانَ اللهُ في حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كرَبِ يَومِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِما سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ).

وصلة الأرحام لها العديد من الفضائل والفوائد والثمار ، **منهـــا** :

* **البركة في العمر والزيادة والرزق** ، فصلة الرحم من أعظم الواجبات ، وأفضل الطاعات ، وقطيعتها من أعظم الذنوب وأخطر الآفات ، بسببها يبارك الله تعالى للإنسان في عمره ، ويبسط له في رزقه ، وفي ذلك يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) ، وهي من أسباب المحبة بين الأهل والأقارب ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ ، مَثْرَاةٌ فِي المَالِ ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ) .

* ومنها: **مضاعفة ثواب الصدقة** ، فمن وصل رحمه بالصدقة ضاعف الله له الأجر والثواب ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ : صَدَقَةٌ ، وَصِلَةٌ) ، وقال تعالى:{يَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}.

* كما أن صلة الرحم **من أهم أسباب حفظ الإنسان من السوء** ، وهذا ما أشارت إليه أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) حين نزل الوحي على رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في غار حراء وعاد خائفًا مرتجفًا إلى بيته ، فطمأنته (رضي الله عنها) بأنه لن يلحقه ضيم أو يصيبه سوء ؛ لأنه محفوظ من ذلك بعدة أمور ، ومنها : صلته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لرحمه ، فقالت : (أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ).

* ومنها : **تكفير الذنوب والخطايا** ، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رجلًا أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله ، إني أصبت ذنبًا عظيمًا فهل لي توبة؟. قال: (هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟). قال: لا. قال: (هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟). قال: نعم ، قال : (فَبِرَّهَا) ، والمعنى أنك إذا بررت وأحسنت إلى خالتك وهى إحدى الأقارب والأرحام كان هذا الإحسان وهذا البر كفارة لذنبك الذي ارتكبت فدل هذا على أن صلة الأرحام كفارة للذنوب والخطايا .

* ومنها : **نشر المودة والمحبّة وقيم التكاتف والترابط** بين جميع أفراد المجتمع عامة، والأسرة على وجه الخصوص ، فصلة الرحم تعمل على تقوّية المشاعر الإنسانية ، فيصير المجتمع كأنه لُحْمَةٌ واحدةٌ ونسيج واحد مترابط ، تجعل البعيد قريبًا ، والمسافر مقيمًا ، والفقير غنيًّا ، والمريض صحيحًا ، ما أجملها من صورة لو تحققت ، وما أزكاه من جسد لو تماسك .

وجدير بالذكر أن صلة الرحم لا يقتصر خيرها على الدنيا فحسب ، بل هو عاجل وآجل ، في الدنيا والآخرة ، فصاحبها رابح في الدارين ، ففي الدنيا ينعم بوصل الرحمن وكفى به من فضل ، وفي الآخرة يرقى إلى أعالي الجنان ، ويأنس بجوار المنعم المنان ، لذا أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) أمته بها حيث قال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ) ، فلنتق الله (عز وجل) في أرحامنا ، ولنحافظ على صلتها طاعة لله ، واقتداءً برسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ورغبة في خيري الدنيا والآخرة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

إخوة الإسلام :

إذا كانت صلة الرحم بابًا عظيمًا من أبواب الخير ، فإن قطيعتها باب خطير من أبواب الشر ، فقاطع الرحم مقطوع من الخير كله ، ويمحق الله البركة من نفسه وماله وولده ، ولا تُرفع له طاعة، ولا تُقبل له دعوة ، وعمله مردود عليه ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ، فلَا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ)، لأن قطيعة الرحم من الكبائر ، وقد رتب الله تعالى عليها عقوبة الطرد من رحمته ، فقال سبحانه :{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}، فيعيش قاطع الرحم في الدنيا ملعونًا ـ والعياذ بالله ـ حتى يصل رحمه ، قال تعالى:{وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}.

على أن الصلة الأعظم للأرحام هي الصلة الخالصة لوجه الله (عز وجل) ، مع الحرص على صلة من قطع ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أن النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا) ، فصلة الأرحام تحتاج إلى صبر وحلم معهم ، وخاصة مع المتجاوزين والمسيئين منهم ، وفي صورة عملية يوجه النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه إلى ذلك ، ويبشر واصل رحمه التي قطعته بإعانة الله تعالى له، حيث جاء

رَجُلٌ إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ، وأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ويُسِيئُونَ إِلَيَّ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ)، أي: كأنما تطعمهم الرماد الحار ، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ، فرحم الإنسان مهما أساءوا إليه هم بالنسبة له بمثابة الجناح الذي به يُحلّق ، واللسان الذي به ينطق ، ويده التي بها يُدافع عن نفسه ، والإنسان بالنسبة لرحمه كعضو في جسد لا يستغني عن بقية أعضائه.

وعن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: أمرني خليلي (صلى الله عليه وسلم) بسبع: (أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ ، وَالدُّنُوِّ مِنْهُمْ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونِي ، وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئًا ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا ، وَأَمَرَنِي أَنْ لَا أَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، فَإِنَّهُنَّ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ).

فاللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
واكتبنا من عبادك الواصلين الموصولين